المحاضرة الحادي عشر:

تقنيات البحث الميداني في الانثربولوجيا (الملاحظة بالمشاركة، المقابلة).

تمهيد:

بدأت الانثربولوجيا من بحوث ودراسات وصفية على جمع غير منظم للمعلومات عن ثقافات وعادات الشعوب، ثم توصلت في مرحلة لاحقة إلى اعتماد المقارنات والدراسات الاثنوغرافية التي تميزت من الموضوعية عن المراحل السابقة، كالمناهج المستخدمة في الدراسات الانثربولوجية هي متعددة بتعدد الموضوعات التي تتناول الإنسان على سواء لعلاقته بغيره أو تفاعلاته الثقافية أو في سلوكه ومواقفه.

- **منهجية البحث الميداني في الانثربولوجيا:**

البحث في الانثربولوجيا ما هو إلا حالة خاصة من البحث في العلوم الاجتماعية فهو يخضع لنفس النموذج والذي يحتوي على:

1- مشروع البحث:

قبل الانطلاقة الفكرية لأي بحث انثربولوجي يحدد الباحث الأهداف الحقيقية التي تتبعها الدراسة سواء كانت أهداف علمية كاختيار نظرية، تجربة أساليب مستحدثة أو أهداف علمية العلاقات العرفية والتحضر يجب عليه تحديد الموضوع الذي يريد دراسته ويتجه فيما بعد إلى الميدان لاختيار الجماعة الأولى أو المجال الذي يقيم عليه الدراسة.

2- الملاحظة بالمشاركة:

تعريفها: المقصود بها كما يعرفها بعض الباحثين أن الباحث يلاحظ عينة بحثه بطريقة مباشرة مع أن يشارك أعضاءها في عملهم، أي أن يكون الباحث الانثربولوجي عضواً في الجماعة التي يقوم بدراستها، وأن يتجاوب ويتفاعل معها، وأن يمر في نفس الظروف التي تمر بها، ويخضع لجميع المؤثرات التي تخضع لها، كأن يمارس بعض الطقوس الدينية، أو

الاجتماعية، أو يقوم ببعض الأعمال التي تعد من النشاط اليومي للجماعة، ويعتبر الانثربولوجيون هم أول من مارسوا الملاحظة بالمشاركة، من خلال عيشهم في وسط المجموعات البشرية بغية دراستها عن قرب، ولا زالت هذه التقنية مفضلة لديهم لأنها تكون أكثر قرباً من الواقع.

ويجب أن تتوفر في الملاحظة بالمشاركة الشروط التالية:

– يجب أن يتدرب تدريباً دقيقا على أساليب التفكير العلمي، والتي يجعل منه باحثاً محايداً هدفه الوصول إلى الحقيقة العلمية واكتشاف القوانين الدقيقة التي تحكم العلاقات الاجتماعية.

– يجب أن يكون دقيق الملاحظة، ويتحلى بالصبر وعدم التعجل في استنتاج النتائج.

– عليه أن يتعلم أفرادها وفهم نظام العاطفة الممزوج بنظام التخاطب وبفكر يمثل ما يفكرون.

– إذا لم تتمكن من إتقان اللغة لضيق الوقت، أو لقلة الإمكانات عليه أن يتخذ وسيطا أو مرشداً من أعضاء مجتمع الدراسة تتوفر فيه شروط الدقة والموضوعية والأمانة في نقل المعلومات والترجمة.

– على الباحث أن يسجل المعلومات فور الحصول عليها حتى لا تتعرض للنسيان أو الخطأ.

– على أن يستعين بكافة الوسائل التي تغنيه على الحصول على المعلومات الدقيقة في ذات الموضوع الذاتي يبحث فيه قبل آلات التصوير وآلات تسجيل الأصوات والخرائط الجغرافية والبيانية، والاستعادة من أحدث الوسائل العلمية في جمع البيانات وتصنيفها وجدولتها.

– أن يخلو من الصياغة اللغوية الغامضة.

– أن يستخدم الألفاظ المتداولة.

3- تقنية المقابلة:

المقابلة في البحث الميداني هي حلقة تواصل بين الباحث والمبحوث حول موضوع معين، يكون الباحث فيها العامل المؤثر والمسؤول على إدارة الحوار لذلك يستوجب عليه أن يتمتع بمهارات مهنية معينة تمكنه من الحصول على المعلومات المطلوبة والصحيحة من البحوث.

4- تقنية سيرة الحياة:

تتلخص في تدوين أهم الأحداث التي مرت في حياة أفراد المجتمع، بحيث يروي الأفراد ما حدث معهم خلال مسار حياتهم من الميلاد، وتستلزم هذه التقنية وجود ثقة كبيرة بين الباحث والإخباري السارد للأحداث مما يدعم مصداقية المعلومات المتحصل عليها.

5- الاختبارات النفسية:

وتعد هذه التقنية نادرة الاستخدام مقارنة مع الاختيارات النفسية التي أدخلها الانثربولوجيون الثقافيون في بحوثهم، وتستخدم لتحديد خصائص شخصية أفراد المجتمع موضوع الدراسة، ولذلك نعرض تحديد العلاقة بين حضارة ذلك المجتمع والسمات والخصائص الشخصية لأفراده.